

الأبعاد الاجتماعية والنفسية لثقافة التعامل عند أهل البيت عليه السلام

د. طالب عبد الرضا

أشارت بعض الآيات المباركة والعديد من الأحاديث النبوية الشريفة الى دور أهل البيت عليهم السلام الى طبيعة التعامل وحسن المعاملة ومبدأ التسامح مع الآخرين وطهر قلوبهم من الرجز والبغض ، قال تعالى " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " ومن خلال متابعة الفرد لتاريخ أهل البيت يتبين إن أهل البيت عليهم السلام قدموا عبر التاريخ عطاءً فكرياً وثقافياً وعقائدياً وهم امتداد لثقافة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام ، كما أنهم في عملهم هذا عدل القرآن والموعظة الحسنة والجهاد في سبيل النهوض ولا تأخذهم في ذلك لومة نائم ولذلك سجلوا في التاريخ الاسلامي البعيد والحالي حضوراً قيادياً فاعلاً ومؤثراً بالإنجازات العظيمة طيلة حياتهم في جميع الميادين . وكانوا مشروع استشهاد في جميع ميادين الحياة الروحية والسياسية والعلمية والاخلاقية ويدافعون عن الاسلام والمسلمين ويقفون في وجه أعداهم الداخليين والخارجيين من الحكام المنحرفين والمنافقين والانتهازيين ...ألخ ، ولذلك فهم واح من أهم الأركان الأساسية التي ينهى عنها الإسلام ، وكانت الثقافة الهاشمية لأهل البيت عليهم السلام تتجه بالاتجاه المعاكس والمضاد عما كانت الثقافات الاخرى من ناحية طبيعة التعامل مع الآخر وكيفية فهم أحكام الدين من خلال المعاملات والعبادات ، وهذا الاتجاه لأهل البيت عليهم السلام فرض وجوده على الواقع التاريخي الطويل رغم كل العوامل المعوقة والمضادة لفكر أهل البيت عليهم السلام . حيث جاهد أهل البيت عليهم السلام بكل ما أوتوا بقوة وعلم وإيمان لكي تبقى رسالة النبي عليه الصلاة والسلام كما أرادها غير " مشوشة" أو هجينة كما جاهد عليها الرسول صلى الله عليه وآله ، وأوكلها من بعده الى أئمة أهل بيته وأولهم الإمام علي عليه السلام ، وشاهدي في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله " أنت مني من منزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي " وهذا يعني إن أهل البيت عليهم السلام امتداداً للمضمون

والمسؤوليات التي كان الرسول يقدمها للناس ليحافظ على العدل الإلهي والحفاض على هذا العدل لا بد أن يبقى أهل البيت حقيقة قائمة ومؤثرة في المجتمع الاسلامي والحياة الاسلامية .

دور أهل البيت في الحياة الاسلامية :

إن لدور أهل البيت في الحياة الاسلامية مسؤوليات عديدة تتركز أهمها في الخلافة " : وتعني ولاية الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والمرجعية : وتعني الرجوع في الإرشاد والتوجيه الفكري والديني في كل الشؤون ذات العلاقة بفهم الرسالة الاسلامية وتفصيلها ، وإن كل البحوث والدراسات التي تناولت هكذا مواضيع ركزت على هذين الأمرين وإن دور أهل البيت عليهم السلام مراقباً ومحارباً من قبل أهل القرار الإداري للدولة من الحكماء والأمراء لأهمية هذين الدورين ، وإن دور أهل البيت عليهم السلام في الخلافة والمرجعية قد تم تعطيله وتقليصه حتى الآن الى حد كبير في الحياة الإسلامية حيث أبعاد أهل البيت عليهم السلام عن دور الخلافة إلا باستثناء السنوات القليلة لخلافة الإمام علي عليه السلام وولده الحسن وكذلك المرجعية الفكرية والدينية هي الاخرى كانت ( مبعدة ) ومحاربة ولا يؤخذ بها إلا من خلال مجتمع أهل البيت من الموالين لأهل البيت عليهم السلام وهم فئات قليلة وأحياناً غير معلنة في حباها وولائها لأهل البيت عليهم السلام .

والجدير بالذكر إن النظرية الاسلامية في فكر أهل البيت عليهم السلام كانت تسير وفق فكر واحد رؤوية واحدة للأفكار والأحداث والحقائق الاجتماعية عبر تاريخ أهل البيت ابتداءً من الأمام علي عليه السلام الى آخر أئمة الهدى ولا يوجد اجتهاد أو خلاف أو اختلاف في المواقف لأنهم تلقوا العلم في مدرسة واحدة هي مدرسة الرسول محمد صلى الله عليه وآله ، وهذا الأسلوب في التعامل مع الناس كما هو سلوك الأنبياء ويذكر المؤرخون ورجال الدين إن واحدة من أهم الأهداف التي تعنى ببناء المجتمع وقيمه هو بناء الصفوة والجماعة ، الجماعة الصالحة واعطوا أسباباً لأهمية هذه ذلك ، إن الوقوف والبحث في هذين المفردتين ( الجماعة الصالحة والصفوة المنتخبة ) له أثر كبير جداً في هذه المرحلة ( المعقدة ) والتي ظهرت فيها سلوكيات واتهامات حول المذهب تطالب علانيةً من خلال التحريض والدعم حيث أصبحت هذه التصرفات تحمل أجنادات كثيرة تنذر بمستقبل ( غير آمن ) في المنطقة العربية .

وعليه نتمنى أن تتجه البحوث بهذا التوجه وتكون بحوث عصرنة أي تتماشى والعصر حتى تكون متصدية للأفكار ( المغلوطة ) التي تنظر الى المذهب من زاوية تشاؤمية مبنية على تصورات فردية وفئوية لا تحتكم الى الموقف . حيث كان اتجاه اهل البيت عليهم السلام كما جاء في الكثير من الروايات تؤكد على تشخيص دعائم الدين وبالخصوص النص على الولاية ، والتميز بين الاسلام والكفر ، والإسلام والإيمان ، فإن كل ذلك وأمثاله إنما جاء لتحديد معالم العقيدة الصحيحة .

الأبعاد الاجتماعية والنفسية للمسجد :

المسجد مؤسسة دينية تربية وشأنه في الإرشاد والتوجيه شأن الاسرة والمدرسة ولذلك فهو مؤسسه ثقافية ذات أبعاد دينية و وللمسجد في عصرنا الحالي قبول اجتماعي في عصرنا الحالي قبول اجتماعي واسع جداً وهو بحد ذاته مشفى للنفس اللوامة حيث يشعر الانسان عندما يدخل الى المسجد يتحلى بالاستقرار النفسي والهدوء ولذلك يجب أن لا تغلق المساجد فقط تفتح في أوقات الأذان أو لإقامة الفواتح ، ونحن اليوم بامس الحاجة الى فتح المسجد على طول ساعات عمل الانسان ، ونعتقد إن هذا الركن من أركان مؤسسة التوجيه الاسري فاعل جداً إذا توفرت الأرضية والدعم اللوجستي وبنظرة متواضعة يمكن توصيف عصر اليوم كما هو في عصر الصدر الأول للإسلام حيث الغزو الثقافي وقشور العولمة الفاسدة كلها مخرجات أبتليت بها الأئمة الاسلامية ولذلك واحدة من الدفاعات لهذه الافكار المريضة هو تفعيل دور المسجد في التوجيه والارشاد .

